دور المؤسسة الدينية في تكريس قيم الحوار الحضاري

بقلم
أ/ بشير بوساحة (*) و أ/ إيمان فرطاس (*)

ملخص

تعتبر المؤسسة الدينية من الركائز الأساسية في بناء المجتمع، وحصنا للدولة يمكنها به فرض سيادتها وتنظيم شؤونها، لما لها من القداسة والاحترام. وهي قادرة على زرع فكرة الحوار بين المسلمين وتأييدها بالنصوص الشرعية والسيرة النبوية. فتتمكن من النفوس وتثمر تقبل الآخر والتعايش معه في ظل مبادئ وأسس تحفظ للطرفين حقوقهما، وتكريس الحوار كأساس للسلم والأمان بين أطياف المجتمع الواحد أو بين المجتمع الإسلامي وغيره من المجتمعات فكونها مؤسسة منظمة لها تقاليد عمل رسمية يجنب المجتمع خطاب التميز والطعن في الآخر أو تأجيج الصراع، ويمكنها من محاربة الفهم الخاطئ للنصوص الشرعية والتصدي لخطاب الكراهية والتطرف.

الكلمات المفتاحية: المؤسسة الدينية ، حوار الحضارات، التعايش، تقبل الآخر، الاختلاف.

تمهيد

إن التواصل بين الشعوب والثقافات ضرورة إنسانية لها دورها في التاريخ البشري، وفي تاريخ الحضارات المتعاقبة لن تجد حضارة ظهرت في ظل الانغلاق الذاتي، بل الجديد يأخذ من القديم، ويستفيد من تجاربه ويطورها، وما التقدم الحاصل اليوم إلا ثمار الاجتهاد على غرس الحضارات السابقة. هذا التفاعل الحضاري سطر له الحوار خطوطا عميقة بين الثقافات والشعوب. وكُلما ساد الحوار في الأرض ساد الأمن والاستقرار، وأبدع الفكر وتطورت الحضارة. ولا أدل على هذا من الحضارة الإسلامية التي تحمل بين جنباتها رؤى ومبادئ تصلح لأن تكون ميثاقا دوليا تجتمع

(*) أستاذ مساعد بقسم أصول الدين ـ معهد العلوم الإسلامية ـ جامعة الوادي.
Bbousaha@yahoo.com
(*) ماجستير في التفسير وعلوم القرآن (fartas_imene@yahoo.com).

عليه الأمم والحضارات كأساس للحوار والتعايش، يَجمع شمل الفرقاء ويوحد الجهود ويحقق التفاعل الحضاري والتبادل الثقافي في أسمى صوره.

وإن ما تمر به الساحة الإسلامية اليوم من صراعات وحروب وتأخر في الركب الحضاري، وانحدار في الأخلاق، وانحراف عن الصراط المستقيم، ما هو إلا نتيجة عن ابتعادها عن الدين الحق، وسوء تأويله، وتفضيل الاختلاف والتفرق على التوحد والتعاون، وسيطرة الذاتية والمصلحة الشخصية وترك مجال للخونة وأذيال الاستعمار والطامعين في تخريب عقول الشباب، واجتثاث جذور الحوار والتفاهم من أصول التعامل بين الناس، وقطع التواصل بين الإخوة، وكلها حقائق إذا حضرت غاب الحوار، لأن الحوار عنوانه فهم الآخر وقبوله وحسن التعامل معه. ولا يخفى أن هذه الآثار، نتيجة في حقيقتها للسيطرة التي يحاول الغرب فرضها، على العالم الإسلامي بشتى الوسائل، والتي انعكست سلبا على المجتمعات. فهناك من استجاب لها وهناك من رفضها، وجعل البديل عنها العودة إلى الماضي بحثا عن الأمجاد الخالدة، في رؤية لا تحقق الموازنة بين الواقع وبين الفكر الديني، ونظرا للغياب التفاعلي للمؤسسة الدينية، راج الإرهاب باسم الدين ونالت الأمة نصيبها منه وتعرقلت مسيرة الحوار الحضاري بين الأمم.

فعلى المؤسسة الدينية السعي إلى استعادة دورها على جميع المستويات حتى تساهم في نشر الفكر الوسطي ومواجهة التحديات الدينية والمجتمعية والحضارية، وتستغل كافة قنواتها لتعزيز الحوار بين الفرقاء، فكيف تتمكن المؤسسة الدينية من تعميق لغة الحوار في المجتمع وتعزيز آليات التعامل به؟

أولا: مفهوم المؤسسة الدينية:

يختلف مفهوم المؤسسة الدينية في الغرب عن نظيره في الإسلام، فلا يوجد في الإسلام مؤسسة تحتكر الدين وتتحكم فيه، كما هو الحال في الكنيسة عند المسيحين، "ذلك أنه لا مكان في الإسلام لبناء مماثل لبنية الكنيسة، مؤسسة عليا ناظمة تحتوي تراتبا هرميا، وفضاء لممارسة العبادة" .[1]

فالمؤسسة الدينية في إطارها العالمي: «نسق من المعايير والأدوار الإجمالية المنظمة التي تواجه الحاجة الدائمة إلى الإجابة على الأسئلة النهائية المتصلة بهدف الحياة وبمعنى الموت».[2]

وفي إطارها الإسلامي: "هي تلك المؤسسة ذات الصبغة الشرعية الخالصة والتي تبنتها الدولة بشكل رسمي، وتقوم على أساس واحد هو الإسلام منهجا ودستورا ونظاما وتعمل على نشر تعاليم رسالة السلم السمحة على جميع الأصعدة"[3]. فهي عبارة عن مؤسسة علمية فقهية دعوية، كل الناس فيها سواسية. ومفهوم المؤسسة يعني: "أداء دور تقوم به مجموعة من الأفراد تحت دوافع قيم مشتركة سواء تقليدية، أو تم التفاهم حولها، أو كانت جملة من التشريعات والقوانين الملزمة".[4]

فمجموع الأفراد الذين يجمعهم هدف نشر الدين والدعوة إليه وتعليم الناس مبادئه، ومناقشة

الأمور الفقهية وطرح حلول لمشاكل الناس الحياتية انطلاقا من الدين، يشكلون مؤسسة تهتم بالشؤون الدينية. فهي باختصار "التنظيم العملي للمجال الديني"[5]. وهذا لا يعني بالضرورة تقنين الدين وحصره في أشخاص معينين أو هياكل خاصة، فالإسلام في أصله يشمل كل جوانب الحياة، وهو منهج متكامل ينظم حياة الإنسان، وما اصطلاح المؤسسة الدينية إلا من باب الهيكلة التنظيمية في الدولة، لضمان حسن تسيير للأمور الدينية والدعوية بأسس علمية وفقهية، وتسهيل انتشار الفتوى وأداء العبادة للمسلمين بيسر ورفع الحرج عنهم. وتوحيد كل ذلك تجبا للفوضى والخلاف، وتأسيس خطاب مشترك وموحد ينبع من قناعة المجتمع واختياراته ويمثل الدولة.

وأهم المهام التي تقوم بها المؤسسات الدينية تتمثل في الحرص على أصول وثوابت الدين وتطبيقها، وتوفير أماكن لأداء العبادات والإشراف على تسييرها، ونشر العلم الديني في المجتمع وتحفيظ القرآن الكريم، والقيام على أمر الفتوى وعلاج مشاكل الواقع والعصر، فهي تعتبر المرجعية في ذلك، كما أنها تهتم بالإرشاد العام للناس والدعوة إلى الإسلام بشتى الوسائل.

وتتنوع هياكلها وأشكالها لتشمل: المساجد، المدارس والمراكز القرآنية لتحفيظ القرآن الكريم، وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المساجد والمراكز الإسلامية في الغرب، مجالس الفتوى...

ثانيا: مفهوم الحوار الحضاري:

يتشكل مصطلح الحوار الحضاري من مفهومين مركبين هما الحوار والحضارة، والحوار في اللغة: هو "الرجوع، وهم يتحاورون أي:يتراجعون الكلام...التحاور هو التجاوب والمجاوبة".[6]

أما في الاصطلاح فهو يعني: "درجة من التفاعل والتثاقف والتعاطي الإيجابي بين الحضارات التي تعتني به، وهو فعل ثقافي رفيع يؤمن بالحق في الاختلاف إن لم يكن واجب الاختلاف، ويكرس التعددية، ويؤمن بالمساواة".[7]

ومصطلح الحضارة في اللغة يعني: خلاف البادية، والحضارة الإقامة في الحضر.[8]

أما في الاصطلاح فقد تعددت تعاريفها فهي: "جميع مظاهر النشاط البشري الصادر عن تدبير عقلي"،[9] أو هي "مجموعة المفاهيم الموجودة عند مجموعة من البشر، وما ينبثق عن هذه المفاهيم من مُثل وتقاليد وأفكار، ونظم وقوانين ومؤسسات تعالج المشكلات المتعلقة بأفراد هذه المجموعة البشرية وما يتصل بهم من مصالح مشتركة".[10]

وفي العصر الحديث أطلق البعض هذا المصطلح على كل نتاج مادي لأمة من الأمم من عمران ومخترعات وابتكارات وتنظيمات. وتوسع النطاق ليشمل بالإضافة على النتائج المادية القيم الدينية والثقافية.[11]

والتعريف الجامع للحضارة هي: "الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة؛ فهي مجموع الحياة في صورها

وأنماطها المادية والمعنوية"[12]. والذي يهتم بإبراز الجانبين الأساسيين في الحضارة وهما المادة والروح.

انطلاقا من مفهوم الحوار والحضارة نتبين مفهوم الحوار الحضاري والذي هو عبارة عن تبادل الآراء والأفكار في قضايا محددة بهدف إيجاد نقاط اشتراك عامة تكون أساسا لعملية التفاعل والتعايش.

فالهدف الأساس من الحوار هو صبغ شخصية الإنسان بالفكر المعتدل وزرع قيم التفاهم وتقبل الآخر، حتى يُصبح سلوكا متأصلا في شخصية الفرد ويُسير تعاملاته اليومية، فينتج لنا مجتمعا خال من التعصب والتشدد. ويُهيئ مجالات تعاون في قضايا الناس اليومية وشتى الميادين الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية وغيرها.

إن لغة الحوار الثقافي والحضاري عملية متعددة الأبعاد، تتطلب جهدا متواصلا وعملا مضن، ووقتا طويلا وآليات متنوعة ومتجددة، حتى تتبلور منهجية عالمية للتعارف والتواصل بين الحضارات. ولا يجب أن نكتفي بالملتقيات المغلقة وقاعات المحاضرات فقط، بل المطلوب أن يتم تفعيله في الواقع. بدءا بالحوار الداخلي مع الذات ومع أفراد المجتمع، وتوحيد التوجهات والرؤى لخدمة المجتمع، فإذا تحققت شروط الحوار وأُتقنت آدابه وتحققت أهدافه، سيدفع ذلك إلى حوار عالمي يشمل مختلف الثقافات والتوجهات. ولذلك يرى البعض أنه في الوقت الراهن تُعطى الأولوية للحوار الداخلي في المجتمع نظرا للظرف الذي تمر به الأمة الإسلامية، والذي يتطلب معالجة دقيقة وسريعة للوضع الفكري وضبط للتوجهات الدينية، بما يُحقق استقرارها وأمنها، لأن توفر الأمن عامل من عوامل نجاح الحوار الحضاري العالمي وأساس لتقبل الآخر والتعاون معه.

ثالثا: مقومات الحوار الحضاري:

لا يمكن للحوار الحضاري أن ينجح إذا لم يراع مجموعة من الشروط والآداب والنقاط المهمة في العملية الحوارية، فلا يمكن الانطلاق في حوار الثقافات ما لم نكن واعين بثقافتنا. "إن نقطة الانطلاقة الأولى لأية استجابة فعالة تبدأ من خلال فهم الذات وفهم الآخر، فالبداية أن نتعرف على واقعنا كما هو بالفعل، دون رهبة أو خجل، ودون تهوين أو تهويل، ثم التعرف على الآخر وفهمه، وهو هنا الغرب وحضارته".[13]

ومن أهم النقاط الأساسية في الحوار الاتفاق حول القضايا التي يتم التحاور فيها، وتوجد العديد من القضايا التي تحتاج المؤسسات الدينية إلى فتح مجال الحوار فيها في هذا العصر، منها قضية الدين ومواكبة تطورات العصر بما يسمى "فقه النوازل" وإسقاط النصوص الشرعية على الواقع. وكل ما يخص الأقليات الإسلامية، وتوضيح الموقف من الدعوة إلى التقريب بين الأديان والتعارف بينها. وكذا قضية التنمية والنهضة لاسترجاع آفاق الحضارة الغائبة، ومواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي الحاصل في العالم اليوم، من دون انغلاق تام على الماضي ولا انفتاح كلي

على الحاضر، بل بتحديد الإيجابيات والسلبيات فيه.

وكمنطلق للحوار الحضاري يجب أن يبدأ بتعارف الحضارات لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: 13]، فبذلك يمكن أن تُكتشف الخصائص والقيم والأفكار، وتفهم المكونات والمؤثرات، وتصحح المفاهيم الناتجة عن جهل أو عوامل تاريخية أو عن أفكار سلبية، وتحقيق شروط الحوار الحضاري المتمثلة في: العلم والمعرفة، فالحوار الناتج عن الجهل لا يثمر أبدا. كما أن العلم يتطلب أولا التخلي عن الأفكار المسبقة عن الآخر، واتفاقا على المشتركات العامة، وتحديدا للمصطلحات بدقة حتى يتوصل إلى نتائج عملية. وعرضا مدعما بالحجج والدلائل، وأن يكون الهدف الأساسي للحوار هو البحث عن الحقيقة عبر اكتشاف الغير واحترامه، ومعرفة الاختلافات والقيم المشتركة للتمكن من التبادل والتفاهم.

إن الاعتراف بالآخر وقبوله والاتفاق على مبدأ التعددية الثقافية والفكرية والدينية، وبحق الآخر في المحافظة على خصوصيته والدفاع عنها، من دون سخرية أو انتقاص له، هو عامل مهم في تحقيق الجو المناسب للتحاور. ومن الآداب المهمة التي يجب على المتحاورين التقيد بها:

- أن تكون لغة مشتركة وواضحة ولبقة لدى المتحاورين، لبيان أكثر للأفكار فاللغة وسيلة للأفكار.
- العدل في القول: بقول الحق وتجنب الاستهزاء أو الانتقاص، أو أسلوب التحدي، لأن الهدف يجب أن يكون الالتقاء والارتقاء لا الافتراق.
- التواضع والرفق والاحترام المتبادل: بحسن الاستماع والاهتمام بما يقوله الآخر، قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه: 44]
- المرونة وعدم التعصب احترام الفكر الآخر، وتبادل الآراء في هدوء واتزان من دون إهانة أو طعن في الآراء أو مس بالثوابت والمقدسات، أو تجريح في الهيئات والأشخاص.
- الرؤية الموضوعية والنزيهة والطرح الشجاع للأفكار، بدون هيمنة عليه أو تنقيص منه.
- الرضا والقبول بالنتائج التي يتوصل إليها المتحاورون.

رابعا: منهجية الحوار الحضاري في الإسلام:

بَنى الإسلام دعوته للحوار بين مختلف الشعوب على أسس متينة، كونت منهجية واضحة في الدعوة إليه، وعمقت الوعي بضرورته كمنهج في الحياة على جميع الأصعدة. إنّ الإسلام هو دين الحوار والتعارف والاعتراف بالآخر، وهو استثمار لطاقات البشر على اختلاف أجناسهم وديانتهم وأفكارهم، فالحوار منهج قرآني وسنة نبوية تبعها الأنبياء في التواصل مع أقوامهم. "وإذا نظرنا إلى الإسلام من حيث مبادئه وتعاليمه الأصلية نجد أنه هو أرقى الأديان في تحقيق

مبدأ التسامح الذي هو القاعدة الأولى للتفاعل الحضاري .[14]

هذه المنهجية الإسلامية قائمة على التأسيس لحقيقة الاختلاف بين البشر، وجعلها سنة كونية، ليتحقق به التكامل البشري، والقيام بأمر الاستخلاف الرباني على هذه الأرض على أكمل وجه، قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ [المائدة: 48] وهذا الاختلاف لا يجوز أن يكون سبيلاً للتفرقة والقطيعة وقتل الناس والاعتداء عليهم. وفي هذا الإطار لا يلغي الإسلام الآخر بل يتقبله ويحفظ له حقوقه، فالكل سواسية ولا فضل لجنس على جنس ولا لشخص على شخص.

كما أنه اشترط التكافؤ كأساس للحوار فالتكافؤ" بين المتحاورين مهم جدًّا ليحقق الحوار أهدافه"[15]. فالحوار الذي يهدف لإحداث تفاعل حضاري بين الأمم يرفض النظرة الاستعلائية من أحد الطرفين نظرا لقوته المادية، ولا يؤيد النظرة المركزية للقوة الكبرى التي تسيطر على بقية الأطراف، وتفرض شروطها وأفكارها، بل لكل طرف خصوصياته الدينية والفكرية والحضارية، والتأكيد على "الخصوصيات العقائدية والحضارية والثقافية، لا سبيل إلى إلغائه، ولكن الإسلام لا يريد لهذه الخصوصيات أن تمنع التفاعل الحضاري بين الأمم والشعوب والتعاون فيما بينها.[16]

وهنا يجب أن تظهر صورة الإسلام الذي يجمع تحت لواءه كل الأطراف المختلفة من غير استبداد أو اضطهاد، أو تمييز عنصري، ويحفظ للجميع حقوقهم. وهذا ما عبر عنه " أوجست كونت " بقوله: "إن عبقرية الإسلام وقدرته الروحية لا يتناقضان البتة مع العقل كما هو الحال في الأديان الأخرى؛ بل ولا يتناقضان مع الفلسفة الوضعية نفسها، لأن الإسلام يتمشى أساساً مع واقع الإنسان، كل إنسان بما له من عقيدة مبسطة، ومن شعائر عملية مفيدة ! ".[17]

كما نادى الإسلام باستعمال الحجة والبرهان، ومقابلة الأفكار بالأفكار لا بالعواطف، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: 111]، بعيدا عن استعمال القوة واستظهار العضلات، واعتماد لغة العنف والتعصب، وتأجيج المشاعر وتأليب الرأي العام وإثارة الفتن، والاستفادة من الأوضاع المتردية لفرض فكر معين أو توجه خاص، واعتماد كل هذا تحت راية الحرية في الحوار وكون الغاية تبرر الوسيلة.

لقد كان منهج الحوار في الإسلام فريدا من حيث أسلوبه وطريقته والتي حددتها الآية قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: 111]. فأول أساليب الحوار أن يبدأ بالحكمة، وتكون باستغلال نقاط الالتقاء وتثمينها، وجعلها قاعدة للحوار، والارتقاء لطرح الأفكار وعرض الآراء بأسلوب رصين وثقة في النفس، والحكمة تعني استخدام ما خبره الإنسان في حياته وتجاربه. وهذا يعدد طرق الاستدلال

لإقناع الطرف الآخر، ثم يأتي المنهج الثاني وهو استخدام الموعظة وأغلب المواعظ تكون مؤثرة في العواطف والأحاسيس، وتهيج النفوس وترقق القلوب، لكن وصفها الإسلام بالموعظة الحسنة، لكي يجتهد الإنسان في اختيارها فيحسن عرضها ويقوى تأثيرها، فإذا اشتد الحوار وصل إلى درجة الجدال حين لا تنفع حكمة ولا موعظة حسنة، والجدال لا يكون بالتشدد والخصام، بل هو رفع المستوى في التحاور والاحتجاج على الأفكار والاستدلال عليها للإقناع بها.

يقول الشيخ يوسف القرضاوي: "ومن الملاحظ على التعبير القرآني المعجز في الآية: أنه اكتفى في الموعظة بأن تكون(حسنة)، ولكنه لم يكتف في الجدال إلا أن يكون بالتي هي(أحسن)، لأن الموعظة – غالباً- تكون مع الموافقين، أما الجدال فيكون –عادة- مع المخالفين؛ لهذا وجب أن يكون بالتي هي أحسن. على معنى أنه لو كانت هناك للجدال والحوار طريقتان: طريقة حسنة وجيدة، وطريقة أحسن منها وأجود، كان المسلم الداعية مأموراً أن يحاور مخالفيه بالطريقة التي هي أحسن وأجود".[18]

فيمكن استثمار عنصر الدعوة إلى الإيمان كأساس يقوم عليه حوار الأديان السماوية. ويمكن استثمار جانب الأخلاق والقيم العامة كأساس لحوار الأديان الأخرى غير السماوية، ومنه الانطلاق إلى أنواع أخرى من الحوارات.

والإسلام ضد الإكراه المباشر للناس للاعتقاد بما لا يريدونه، أو تكميم الأفواه لعدم التصريح بآرائهم، أو التنازل عن الثوابت الدينية والخصوصيات الفكرية، بل يدعو للتعاون على ما فيه خير الإنسانية وحماية حقوق الإنسان التي جاءت بها كل الشرائع السماوية، وهو ما جسدته رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك وقادة الحضارات الأخرى، وما عبرت عنه الأحكام الخاصة لأهل الذمة، واحترام مقدساتهم وشعائرهم وأداء عبادتهم بحرية في أرض الإسلام، والمعاملة الطيبة والحقوق المساوية لحقوق المسلمين، وحماية أموالهم وأعراضهم. فهذه هي سماحة الإسلام وتطبيقه لمبدأ الحوار والتعايش بين الشعوب والأمم في ظل الاختلاف.

خامسا: دور المؤسسة الدينية في نشر ثقافة الحوار:

انطلاقا من الدعوة الصادقة والجادة للحوار في الإسلام، كأساس للتعارف والتواصل بين البشر، ولأهمية الدين كعنصر جوهري في قيام الحضارات ونهضتها، كما يقول مالك بن نبي «قوة التركيب لعناصر الحضارة خالدة في جوهر الدين»[19]، وبيانا لمقولة عالم الاجتماع الفرنسي دوركايم أن "المؤسسة الدينية هي وحدها القادرة على أن توحد البشر في مستوى تصوراتهم ومشاعرهم"، يظهر الدور المهم للمؤسسة الدينية في نشر ثقافة الحوار في المجتمع، وتحقيق الوحدة والأمان في العالم. فهي في حقيقتها عبارة عن قناة تواصل بين مختلف شرائح المجتمع، لأن الدين من أهم عناصر اجتماعهم، فهي تعمل على نشر تعاليمه وترسيخ القيم الاجتماعية

والأفكار الصحيحة الوسطية، وتعميق الحوار بين أطياف المجتمع، واحتواء الشباب وتشجيع الإبداع والفكر النير، وبعث الوحدة والتعاون بين صفوف المسلمين، والتركيز على القضايا الهامة والتحسيس بها، وذلك عبر مختلف الهيئات والمراكز الدينية ومن خلال المساجد ودور القرآن الكريم، والمراكز الإسلامية ومدارس تعليم القرآن الكريم.

ودور المؤسسة الدينية في نشر ثقافة الحوار يتجلى على مستويين:

- حوار داخلي: ويكون مع الذات نفسها، أو بين أفراد المجتمع الواحد لتباحث الأفكار وإيجاد حلول، للقضايا المشتركة ومعالجة أدواء المجتمع. والمناداة بالحوار الإسلامي-الإسلامي، للتقريب بين المذاهب والطوائف، ومواجهة الفكر التطرفي، وموجة التغريب التي طالت القيم والأخلاق والأفكار، ومحاولة توسيط فكر المجتمع.

- حوار خارجي: يكون مع الثقافات الأخرى، لإيجاد لغة واحدة ومشتركات عامة للتبادل والانتفاع، والدعوة للتعارف بين أصحاب الأديان والثقافات المختلفة. ورد الشبهات المثارة حول الإسلام وإبراز صورته السمحة.

ومما تواجهه المؤسسة الدينية كتحد لها في هذا الإطار، هو تشعب التيارات الفكرية والمذاهب الدينية، ودخول الأفكار السياسية والحزبية والطائفية، إلى هيئاتها ومراكزها. فإن لم تكن ظاهرة في الهياكل العليا، فإنها تجد مرتعها في المساجد النائية في القرى، وفي المراكز القرآنية والدعوية الصغيرة، أين لا تكون الرقابة مسلطة عليها، وتستفيد من جهل الأفراد بحقيقة الفكر المسلط عليهم، وحسن نواياهم وتعطشهم للتعلم الديني، وغياب المؤسسة الدينية كحارس أمين للفهم الصحيح للإسلام، نظرا للقيود المفروضة عليها من طرف الحكومات، بالإضافة إلى التوارث السلبي للأفكار، والنمط التقليدي الذي تسير به هذه المؤسسة وهياكلها، وابتعادها عن مواكبة الواقع بروح الدين، وتحقيق مقاصده العليا. وكلها عوائق وتحديات تُوظَف لتخريب الأمة وشبابها.

ويُعد الأئمة من أهم العناصر الفاعلة في المؤسسة الدينية، وهم المسؤولون عن الاتصال المباشر بأفراد المجتمع، عبر الخطاب الديني وتحقيق أهداف المؤسسة الدينية. فهم قادرون على تعميق الحوار في المجتمع، وسد أبواب الفرقة وجمع كلمة المسلمين، على الحق وعلى خدمة الوطن والصالح العام. بما يمتلكونه من هيبة ومكانة داخل المجتمع، وبما لهم من حُضور في أحداث الناس وحياتهم كالأعراس والمآتم، ونشاطهم الدعوي في المحاضرات والفعاليات المختلفة. ومن خلال الخطب والدروس والمواعظ، واستثمار المناسبات التي يجتمع فيها المسلمون.

كما أنهم قادرون في نفس الوقت على غرس فكرة التمايز والتضاد، بالطعن في الآخر وتأجيج الصراع بينه وبين المسلمين، وتدعيمها بالفهم الخاطئ للنصوص الشرعية، اجترار الفقه القديم

الذي لا يتوافق وروح الإسلام في دعوته للاجتهاد ومواكبة المستجدات والنوازل، كاعتماد التقسيم الفقهي القديم للعالم إلى دار إسلام ودار حرب، متناسين في ذلك دار العهد التي أشار إليها الفقهاء، وقد أكدت على احترام العهود سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، كما أكد الإسلام على علاقة السلم مع الغير قال تعالى: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: 61] .وقد ينساق كثير من الأئمة إلى خطاب التعميم، وجمع الآخر بكل أطيافه وثقافاته وأديانه في سلة واحدة. ويتسرعون في الدعوة إلى القتال والحرب واستثارة الفتن. والمطالب بالتطبيق الصارم لأحكام القرآن، فتشيع الفوضى ويعُم الخراب الأمة.

والنوع الثالث من الأئمة يأبى أن يتحدث في هذا الشأن، ويعتبره موقفا سياسيا، متناسيا أن الإسلام منهج حياة. فيصمت ولا يُشير للقضية أبدا، خوفا من السلطة أو من التيار المتطرف يمينا أو يسارا، ويغوص في قضايا هامشية في المجتمع، أو يغرق في فقه الطهارة والصلاة ولا يتجاوزه أبدا. وهو بهذا يكون مُعينا للفكر المفسد وداعما له، بإخفائه الحقائق ونشر الجهل في أمور الدين الإسلامي، الذي هو منهج حياة يهتم بكل الأمور والجوانب الثقافية والحضارية. منساقا في ذلك مع مفهوم الدين في الغرب، على أنه مجموعة من الطقوس تؤدى في زمن محدد وفي مكان معين، وأنه يمكن أن يكون له خطاب روحي، لا علاقة له بأمور الدنيا ومعاش الناس وحياتهم اليومية خارج أسوار ذلك المكان.

وفي ظل هذه الأفكار المغلوطة والتحدث باسم الدين من طرف الرويبضة وأشباه الأئمة، يميل الفرد المسلم إلى الانغلاق والتقوقع على الذات، والاهتمام بالمصلحة الشخصية على حساب المصلحة العامة. وتبقى هذه الأفكار حبيسة العقول لا تظهر على السطح علنا، وتتغذى على فُتات الحقد والكُره، لتنجلي بعدها في فكر تخريبي لا يؤمن إلا بوجود طرف واحد، ولا يقبل حوارا أو تسامحا وتعايشا ولا يتقبل الآخر، الذي يختلف عن دينه وانتمائه وفكره، وتتهدم جسور التواصل بين طوائف المجتمع المختلفة، وتُقطع الوشائج مع الغرب كلية ويصبح عداء وصراع، نابع من جهل بمبادئ التسامح وحقيقة التعايش السلمي وضرورة فهم الآخر.

لذلك لا يجب أن يُسمح باستغلال المؤسسات الدينية للأغراض الشخصية، وتعبئة الناس بالأفكار والتوجهات، لأن هذا هو السبب الرئيسي الذي يُفقد المؤسسة الدينية مكانتها، ويُبعدها عن الدور المنوط بها، في جمع شمل الناس وتوحيد كلمتهم، ومنحهم الأمان. لما يعانونه من تخبط وسط الأيدولوجيات والتجاذبات السياسية والاجتماعية، والصراعات الطائفية والفكرية، والتي تكون منطلقاتها أحيانا من الاختلافات المذهبية والعقائدية الدينية، لكن حقيقة الدين واسعة تسع الجميع.

ومن أدوار المؤسسة الدينية الهامة هو ضرورة نشر الوعي الديني، من خلال التفريق بين فكرة التدين وبين فكرة التطرف في الدين، فالدين في أساسه حاجة روحية إنسانية فطرية، تقوم على

منهج الوسطية والاعتدال، أما التطرف فهو التشدد والتعسير على النفس وعلى الناس، بدافع حب الدين وتطبيقه. ولديه أسبابه التي تُنتجه. فعلى المؤسسة الدينية التنبه لها ومعالجتها دون تريث، للخطر المحدق بالأمة من هذا الفهم الخاطئ للدين.

ولن تنجح المؤسسة الدينية في نشر الحوار، إلا إذا جددت الخطاب الإسلامي بما يوافق العقل، ويقوم على الحجج والبراهين ولا يناقض الدين ويحقق مقاصده، ويواكب العصر في قضاياه ووسائله. منهجه في ذلك الحكمة والموعظة الحسنة. فيكون هذا الخطاب نتاج عملية تفاعل العقل المسلم مع النص الديني في سياق حضاري، وبهذا يتعمق الطرح وينفذ إلى الزوايا المظلمة فيُضيئها ويعالج الأفكار المريضة ويُقدم البدائل، في خطاب متوازن هادئ ذي أفق عالمي.

أما على مستوى الحوار الخارجي، فلابد للمؤسسة الدينية من فتح باب الحوار في الأديان، وتجنيد العلماء والمحاورين الأكفاء، والسعي لتوحيد الجهود على مستوى جميع المراكز الإسلامية، لإظهار الإسلام بصورة مشرفة في العالم. ودعم المراكز الإسلامية الدعوية، التي تنشر الإسلام في العالم. وإرسال بعثات الدعاة الوسطيين، حتى يساهموا في تبليغ الدعوة بالتي هي أحسن. والذود عن حياض الإسلام في الغرب. وإعانتهم ماديا، ومساعدتهم في نشر الكتب التعريفية بالإسلام، وإخراج قدوات ونماذج صالحة تمثل الإسلام حقا. والاهتمام بالشؤون الدينية للجاليات الإسلامية، وقضايا الإسلام في الغرب. وإعطائهم الفتاوى التي تناسب حياتهم، ووضعهم الديني والاجتماعي. وإقامة علاقات مع دول الغرب، مبنية على فتح باب الحوار من خلال هذه المراكز. وإقامة المؤتمرات والندوات، وتبادل الأفكار والرؤى النافعة للأمة. فتكون واجهة معتدلة للفكر الإسلامي، وعدم ترك المجال للفكر المتطرف بالولوج الى هذه المراكز. وكل ذلك يستدعي متابعة جادة لأمور المسلمين في بلاد الغرب.

ولكي تحصل المؤسسة الدينية على الدعم المادي والمعنوي من المسلمين، لابد أن تُعدل النظرة الإسلامية للآخر، فليس كل الغرب خصما ومعاديا للإسلام، بل هم مستويات ثلاثة كما قال المنصف المرزوقي: "غرب الأنظمة وهو قبيح، لنا الحق في مواجهته لأنه غرب الاستعمار في السابق وغرب دعم الديكتاتوريات في الحاضر. وغرب القيم والتكنولوجيا وعلينا أن نتعلم منه كما تعلم منا. وهناك غرب المجتمعات المدنية وهذا غرب حليف لنا وصديق ومن الغباء وضعه في السلة ذاتها مع غرب الأنظمة."[20]

ومن التحديات التي تواجهها المؤسسة الدينية في الحوار الخارجي، النظرة الغربية الاستعلائية واستصغارها للآخر وأفكاره والتشكيك في معتقداته وقدراته، كونه غير مكافئ لها ولتفوقها المادي التكنولوجي. هذا النظرة تمنع الحوار من أن يصل إلى أهدافه. كما أنها تجعل الطرف الضعيف يميل إلى العيش في الماضي، ويتدثر بأصوله ومبادئه وإنجازاته الماضية كرد فعل، ومنه

ينتج المعاداة للثقافات الأخرى.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المؤسسة الدينية وحدها غير قادرة على مواجهة التحديات الحضارية، وبناء الشخصية الإسلامية الوطنية المتزنة، ونقل المجتمع إلى خط الوسطية والاعتدال، وتحصينه من الثقافات الهدامة. فلا بد من أن يتكامل دورها مع المؤسسات المجتمعية الأخرى، والهيئات الرسمية والوسائل الإعلامية، وتتناسق الجهود وفق متطلبات المجتمع، فالكل مسؤول عن رفع شعار الحوار بين الحضارات والثقافات من موقعه.

سادسا: وسائل المؤسسة الدينية ودورها في نشر ثقافة الحوار:

للمؤسسات الدينية هياكل ومراكز تنشر أهدافها، وتساعد على تعميق الحوار وتعزيز آليات العمل به ومنها:

1. المسجد: لقد كان المسجد النواة الأساسية التي انطلق منها الإسلام، والندوة التي يجتمع فيها المسلمون. يتباحثون أمور دينهم ودنياهم، وهو مكان العبادة ودار القضاء ومغرس الآداب والقيم ومدرسة العلم. فكان منارة في المجتمع الإسلامي، تنشر قيم الحرية والتعايش والحوار والتسامح. وتعميق أواصر المحبة، وبسط الأمن والاستقرار في المجتمع، وهو المكان الذي يرتاده الناس طواعية، بحثا عن الأمان الروحي والاستقرار الإيماني، فتلتقي فيه شتى الرؤى والأفكار ومختلف التوجهات والتيارات، ولإبراز دور المسجد يقول الشيخ يوسف القرضاوي: " إن رسالة المسجد تكمن في كونه جامعة شعبية للتثقيف والتهذيب، وبرلمان دائم للتشاور والتفاهم، ومؤتمر عام للتعارف والتحاب، ومعهد للتربية العلمية".[21]

أما في هذا العصر فقد انحصرت رسالة المسجد في كونه مكان تؤدى فيه العبادات. بل أصبحت بعض المساجد تفتح أبوابها عند كل أذان فقط ولمدة محدودة وقصيرة. وضاعت رسالة المسجد العظيمة، كونه المحضن للشخصية الواعية المتزنة. وهذا نتيجة للإهمال المعنوي للمساجد اليوم، فكانت نتيجته وبالا على المجتمع. فالاهتمام المادي بزخرفة المساجد، وإطالة المآذن، وتوسيع الباحات، لا يُنشئ الفرد المسلم الذي كان يُنشئه المسجد في القرون الأولى. فدور المؤسسة الدينية في العناية بالمسجد تقوم في أساسها على اختيار الأئمة والخطباء ذو التوجه الوسطي، الأكفاء في أمور دينهم. ومساعدتهم ببرامج دعوية هادفة، تناسب الفرد عمريا وفكريا، وتطرح القضايا العالمية وتناقش أمور الإسلام بوعي متزن، وتغرس القيم الخلقية وتتعهدها بالسقي والاهتمام، حتى تظهر في سلوكيات الناس، وتحقق الشخصية الإسلامية الحقة. هنا يكون المسجد قد أدى وظيفته على أكمل وجه.

إن تطوير الخطاب المسجدي بما يتلاءم مع حياة الناس، وفتح النقاشات في قضايا فكرية

وعصرية، يجعل الناس أكثر وعيا وفقها للدين. وعرض اختلافات الآراء وأدب العلماء في الاختلاف، وإبراز حقيقة الإسلام في تعاملاته مع الآخرين، يقوي حس التقبل في نفوس الناس، ويدعم مساعي الحوار الرامية إلى تكوين جيل واع بدينه، مثقف في تاريخه وأفكاره، واثق من نفسه ومعتز بحضارته. يسعى للنهضة بأمته، قادر على مواجهة التسربات الفكرية المخالفة للوسطية. كما أن تحصين المسجد بالكتب والنشريات النافعة، يساهم في أدائه لدوره الرسالي. ويفيد المجتمع في تنمية فكره، وتروي عطشه في فهم دينه ودنياه.

إن الخطاب المسجدي في حديثه عن الدين، إذا لم يهيئ نفوس المستمعين لتقبل الآخر، ولم يقنعهم بتأكيد الإسلام على حرية المعتقد والفكر، فإنه عند انتقاده لفكر أو تيار معين، وعندما يثني على الإسلام في مقابل الأديان الأخرى، ويرميهم بالكفر والضلال، قد يعمق الكره في نفوس السامعين فتسيطر فكرة العداء على العقول. وقد يؤجج الخلافات المذهبية، والصراعات الطائفية، والمجادلات السياسية بين أبناء الدين الواحد. فتزداد الهوة بين الفرقاء، في شكليات لا نهاية لها ليست من صميم الدين. ثم تنطلق الفتاوى بالتكفير والإخراج من الدين، ووجوب القتل والقتال وتطبيق الشريعة، على حساب الدماء والأرواح. لذا وجب وضع أُطر معينة للخطاب المسجدي، ومراقبة صارمة لما يحدث في المساجد. دون التضييق على العلماء والأمة أو تحديد الأفكار والعناوين للخُطب والدروس، كما هو الحاصل الآن في بعض المؤسسات الدينية. ويمكن عقد ندوات ودورات، تفتح المجال للأئمة للتعبير عن أفكارهم ورؤاهم، وشرح مناهجهم وأفكارهم وأساليبهم، ومن خلال هذه اللقاءات والمشاورات تُحدد المؤسسة الدينية التوجهات والأفكار المناسبة التي تتبناها. وكل ذلك سيضمن لهذه المؤسسة القبول الاجتماعي، وثقة الناس بها، وحرص كل إطاراتها ورجالها لتحقيق نجاحها في أداء رسالتها.

إن المسجد يُعد القاعدة الصلبة للمؤسسة الدينية وواجهتها المباشرة في المجتمع، فإذا اهتمت به وأولته عنايتها، واهتمت بالأئمة وحسن اختيارهم وتكوينهم، استطاعت أن تحقق أهدافها وتؤسس لفكر معتدل، فتقي المجتمع من الأفكار الدخيلة عليه، وكل ما يؤدي إلى فساده.

2. مراكز إعداد وتكوين الدعاة والأئمة والمرشدين : وهي المراكز المسؤولة عن تخريج الأئمة والدعاة والمرشدين والمرشدات، لتعليم الناس والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وسد حاجة المساجد والمراكز الإسلامية للطاقات البشرية. وتهدف المؤسسة الدينية من إنشاء هذه المراكز، لرفع مستوى الأداء الدعوي والكفاءة العلمية، وتنمية القدرات والمواهب والتدريب العملي للدعاة، وإعدادهم إعداداً يجمع بين الأصالة والمعاصرة. بعيداً عن التعصب والمذهبية، وتزويدهم بالمهارات للتميُّز في الخطابة. وعقد منافسات بينهم، وتحفيزهم للإبداع في الدعوة

والحوار. وهذه المراكز مهمة في غرس الروح الإسلامية في المجتمع، وتحصينه من الغزو الفكري. وتُعتبر أداة لإحياء رسالة المسجد، بتجديد الخطاب الديني.

3 . المدارس القرآنية : ما زالت المدرسة القرآنية تستقطب الآلاف من المسلمين وخاصة حديثي السن، بما يُسهل عليها مهمة نشر ثقافة الحوار بين صفوف روادها، وتعويدهم منذ الصغر ومن خلال الآيات الكريمة على احترام الآخر، وتقبل اختلافه دون تعصب أو تشدد معه. وغرس المنهج الرباني في الحوار في نفوس النشء، فيشُب واعيا بمبادئ التواصل مع الناس متزنا في شخصيته.

4 . لجان الفتوى وإصلاح ذات البين: هي هيئة خاصة تبت في القضايا الفقهية المعاصرة، وهي في منهجها تنطلق من الحوار بين الفقهاء المتخصصين، وتتحرى الرأي الراجح في ذلك. لتحقيق الوحدة في الفتوى نظرياً وعملياً في المجتمع، ونشر الفقه الوسطي البعيد عن التعصب، وحل مشاكل الناس بالحسنى، وتحقيق أصول الاجتهاد بما يوافق الكتاب والسنة. وهي مهمة جليلة لابد من حصر مجالها وأفرادها وتنظيمها. والمؤسسة الدينية من خلال هذه اللجان تعمل على تجنب الفتاوى الهوائية والأثيرية عبر القنوات الفضائية، التي لا تعتمد على مرجعية فقهية، ولا تلم بحيثيات القضايا وواقع المستفتي. وعلى هذه اللجان التأصيل لمستجدات الأقليات المسلمة في الغرب وتكييفهم مع واقعهم.

5 . الكتب والمجلات والمطبوعات الإسلامية: إن اعتماد المؤسسة الدينية على نشر العلم والمعارف الدينية، ونقل أفكار المؤتمرات والبحوث العلمية من الطبقة المثقفة إلى العامة، يُدعم التواصل بين أفراد المجتمع، وينمي الوعي المجتمعي. مع ملاحظة اختيار المواضيع الهادفة والمفيدة للأفراد، بعيدا عن البحوث التأصيلية والاجتهادية. كما أن نشرات الدعوة والفتوى يساهم في التكامل بين هياكل المؤسسة الدينية، ويقرب الفرد من هذه المؤسسة أكثر. وقد تكون الكتب دعوية وتعريفية بالإسلام، تدعم الحوار الثقافي بين الشعوب وتفتح آفاق التعارف والتفاعل بينها، شعارها في ذلك قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات: 13]

على أن يتم إيصال هذه المنشورات لتكون في متناول الناس، من خلال توفيرها في المساجد، وأن يتم توزيع هذه الكتب والمجلات بسعر رمزي في المكتبات. وعلى المؤسسة الدينية إنشاء دار طبع ونشر، تكون تابعة لها تسهر على الإشراف على هذا المشروع.

6 . القنوات الإعلامية: تستطيع المؤسسة الدينية أن تجعل من القنوات الإعلامية وسيلة هادفة لنشر الحوار وتوسيع دائرته، فقد ظهرت اليوم قنوات دينية خاصة تحمل على عاتقها الدعوة إلى الإسلام. لكن يشوبها المذهبية والطائفية، وأغلبها قنوات خاصة، لذا على المؤسسة الدينية أن تقوي دورها الإعلامي وتهتم بهذا المجال الذي يكثر رواده من جميع فئات المجتمع. من خلال عقد اللقاءات ونشر

المحاضرات والندوات والمناظرات والمواعظ عبر شاشاتها، واختيار العلماء والمفكرين والأئمة الذين لهم حظوة في نفوس الناس، حتى يحدث التأثير والاستجابة، وتقديم البدائل الهادفة للشباب في مقابل ما تعج به القنوات الأخرى من غث وسمين. والتركيز على الوعي الديني وتقوية الإيمان، والدعوة للوحدة وتقديم الفتاوى المناسبة لكل قطر من طرف أئمة البلد نفسه، لأن لكل بلد خصوصياته الفقهية يعلمها رجال الفتوى. وبيان أخطار الأفكار المتطرفة، على أن تولي اهتماما للتعريف بالمذاهب والثقافات الأخرى لتعريف الناس بها، وبيان إيجابيات التعامل معها والتحذير من سلبياتها.

وعلى القنوات الإسلامية ذات الرسالة الوسطية اليوم، أن تتجنب الطرح الضعيف، والتذبذب الفكري والأسلوب القديم، وعليها أن تنشط في مواسم الطاعات. وأن تعمل جاهدة لمواكبة الواقع، وألا تسير بخطى بطيئة في عصر السرعة والتكنولوجيا. وكل ذلك يتطلب تكاثف الجهود وخاصة من طرف المؤسسة الدينية. فهذه القنوات تحتاج للاهتمام بها، وتخصيص رجال إعلام مهتمين بالشأن الديني لتسييرها. ودعمها ماديا ومعنويا، والعمل المشترك لتحديد رؤية واضحة لها. فكل ذلك سيُساهم في تحقيق أهداف المؤسسة الدينية، وعلى رأسها توطيد الحوار بين الفرقاء في العالم العربي والإسلامي، والحوار مع الغرب. وتستنهض الهمم للقضاء على الفساد والفرقة، وتسعى لتحقيق التسامح والتعايش بين الشعوب والأمم، والتعاون بين الحضارات وتبادل المفيد من المعارف والثقافات.

7 ـ شبكة الانترنت: لا يوجد وسيلة في هذا العصر أكثر انتشارا من شبكة الانترنت، وهي الأسرع في إيصال الأفكار والإقناع بها. فموقع واحد يحيلك إلى مكتبة في موضوع واحد تبحث عنه. لكن خطرها بقدر انتشارها، ففيها تتوزع الأفكار والعقائد والأيديولوجيات بلا رقابة وتُستعمل فيها كل وسائل الإغراء والإقناع، وأغلب روادها من الشباب الذي ما فتئ ينهل من حقائق الدين والعلم فيتأثر بما يُروج فيها.

كما لا ينكر دورها في التواصل بين البشر في أنحاء مختلفة من العالم، ومساهمتها في تنمية التعارف بين الثقافات وإيجاد لغة حوار قريبة من الجميع، وسهلت إيجاد المشتركات الحضارية وعملت على توحيد جهود المنظمات والجمعيات المختلفة في العالم، ونشر قضايا الإنسان في كل المجتمعات، والاستفادة من تجارب الآخرين. وهي وسيلة للتعريف بالدين الإسلامي والدعوة إليه ورد الشبهات عنه، وبيان الصورة المشرقة له. وهو ما يجعلها من الوسائل التي يجب أن تستثمرها المؤسسة الدينية في خدمة الدين والتواصل الحضاري.

سابعا: الخطاب الديني وحوار الحضارات :

إن الحوار بين الحضارات فرصة للتعبير الصادق عن أبرز قيم الحضارة الإسلامية، وسمات الشخصية الإسلامية المتوازنة. فالعالم اليوم عبارة عن قرية صغير تنتشر فيها الأفكار

والأيديولوجيات، وكلٌ يطرح فكره ويُحاجج من أجله. وفي ظل هذا التفاعل الحضاري تظهر المشتركات الحضارية العامة، تسهل التواصل بين بني البشر. هذا التواصل يعمل على تكامل المعارف، وتشجيع الإبداع وتجديد الأفكار، فيُسهم الجميع في بناء الحضارة العالمية.

والخطاب الديني اليوم يواجه انغلاقا تاما على الأفكار العالمية في عصر الانفتاح، خوفا من ضياع الهوية الوطنية والإسلامية. كما أن فكرة قبول الأخر تُعد تحديا آخر للخطاب الديني، نظرا للفكر القديم المتوارث، وتأثير ما يحدث في الساحة السياسية على هذا الخطاب، ويؤجج ذلك بعض الكتابات والأفعال المغرضة من الطرف الآخر بدافع الاستفزاز أو عن جهل مركب منه. كما أن حالة التخلف الحضاري زادت الأمر سوءا بين دعاة الانفتاح العالمي الحر، وبين دعاة الفكر الانغلاقي الذين ما زالوا يهابون اللقاء مع الآخر والاصطدام به. فيظهر الارتباك في الخطاب الديني بين الأصالة والمعاصرة.

ولمواجهة هذا التحدي على الخطاب الديني أن يُحاكي الإنسان المسلم بمنظور عالمي، ويُعزز النظرة الشمولية في التفكير، ويكسر حاجز التقوقع. فمُخاطبة الغرب بنفس آليات مخاطبة المسلم العربي لا تؤتي ثمارها، لاختلاف الثقافات وتغير الواقع وتمايز التاريخ. والخطاب الديني هو الوسيلة الأساسية للمؤسسة الدينية لإيصال الفكر الإسلامي الوسطى، وحماية الدولة والمجتمع الإسلامي من خلل الفهم ولذا لابد من أن يتوفر فيه بعض الخصائص:

1. لا بد أن يكون خطابا علميا مدللا بالنصوص الشرعية فيستشهد بالآيات والأحاديث في محلها ولا يعمد إلى لي أعناقها. وأن يكون صادقا في نقل أقوال العلماء وأحداث التاريخ بدون إخراجها عن إطارها، أو تشويه حقيقتها أو تفسيرها بما يوافق الهوى.
2. تحديد المفاهيم الدينية بدقة حتى يغلق باب التأويل والزيادات والفهوم الخاطئة فهي التي فتحت المجال واسعا أمام زيادة الهوة بين المذاهب والتيارات والأحزاب. وهذا من خلال المراجعة والنقد.
3. الابتعاد عن التكرار في المواضيع، والرتابة في الطرح، والتعميم والارتجال، وتوظيف العلم الحديث في الإقناع، مع مراعاة المستويات الفكرية والثقافية للناس.
4. أن يؤمن بالتنوع والتعدد، ولا يجعل الفكر الناطق هو الفكر الحق، وما خالفه باطل مطلق، فقد قال الإمام الشافعي قولة كانت قاعدة أساسية في أدب الحوار والتواصل مع الناس"رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأيك خطأ يحتمل الصواب". فلابد من الأخذ بهذه النسبية لعدم وجود الكمال في الإنسان.
5. الخروج من بوتقة تقديس نصوص التراث البشري، وتسخير العقل لخدمة الدين، وتجديد نشاطه بفهم النصوص على حسب مقتضيات العصر، والتكيف مع الواقع.
6. تجديد لغة الخطاب الديني بعرض خطب ودروس تطرح مقاربات فكرية، وتعالج المواضيع

المجتمعية والاقتصادية والتربوية والسياسية، وتصحح الأفكار السلبية، وتحارب الفساد والآفات الاجتماعية والانحراف السلوكي.

7. تقديم برامج وحلول عملية لمشاكل الواقع وجمع الناس حولها لتطبيقها، فلا يكتفي بالتنظير والطرح السطحي للأمور بل يغوص في الأعماق ويستخرج الحلول، ويُقدم البدائل للأفكار الخاطئة، ويستنهض الهمم للتنمية الشاملة.
8. أن يكون خطابا حواريا بين أطراف المجتمع وبين ثقافات العالم، يُعزز مبدأ الشراكة والتوافق بين الأطراف. فلا داعي لأن يُقسم العالم إلى دار إسلام ودار حرب، إلا مع من اعتدى؛ فالقرآن الكريم جاء لكافة الناس، وترك لهم حرية الاختيار بين الإسلام أو البقاء على أديانهم، ودعاهم بالحسنى وبلا إكراه لقوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾[البقرة: 256].
9. التوازن في طرح المواضيع، بحيث يكون عرض الموضوع شاملا، فلا يُعرض موضوع الجهاد مثلا بمفهومه وفضله وضرورته، ثم لا يتعرض لشروطه وأنواعه، فيخرج السامع بانطباع عام لم تنضبط له حدوده. أو أن يتم التركيز على سلبيات المجتمع والشباب أو غيرها من الأمور دون ذكر الإيجابيات، فيكون خطابا سلبيا ومعول هدم للنفوس والهمم.
10. التركيز على الجانب الإعلامي لدعم أهداف الخطاب الديني، وتوحيد المُخرجات سلوكا وقيما، وتحسين صورة الإسلام. وتحديث وسائل عرض الخطاب الديني باستعمال الوسائل الحديثة، وبما يُسهم في عرض مختلف الآراء.
11. تأكيد الهوية الإسلامية وتنمية الوعي بها ومكانتها في حوار الحضارات، وعدم الانسياق وراء أهداف الآخر، والذوبان فيه أو الاصطدام معه والانزلاق إلى ردود أفعال للرد على سلوكيات وخطابات الآخر الهوجاء والمتطرفة. بل يُحاول نقده بمنطق العقل دون استعمال خطاب الكراهية أو العنف كسلاح للمواجهة.
12. تعهد الخطاب الديني بالتقويم والإصلاح، حتى لا يميل إلى التطرف أو ينحاز إلى التساهل واللامبالاة، أو يغلب عليه الطابع الشخصي والأهواء في الطرح، فيبتعد عن تحقيق أهدافه. ويكون سهما في قلب الأمة يُلقي به أعداء الدين طعنا وتشويها. وهذا التقويم لا يشمل جوهر النصوص الشرعية، بل في طريقة عرضه ووسائل بيانه، وقوة الأهداف، واختيار الشخصية المناسبة لطرح الخطاب ووقته ومكانه.

ثامنا: عوائق في طريق الحوار الحضاري:

من أهم الحواجز والعوائق التي توضع في طريق الحوار:

1. قلة الفقه وخاصة في موضوع الحوار وعدم النضج العقلي، والتحيُّز للمعتقدات والمواقف الدينية.

2. التطورات السياسية، والصراعات المختلفة بين الزعامات والهيئات الإسلامية في أيها يُمثل العالم الإسلامي، وبين قوى العالم على الزعامة الدولية.
3. الحُروب والصراعات الطائفية المنتشرة في المنطقة، والثورات العربية التي تورطت فيها أنظمة غربية.
4. التبعية الاقتصادية والثقافية للغرب والتنازلات المقدمة بسبب ذلك.
5. قوة التوجهات والتيارات المغرضة والرافضة للحوار الحضاري سواء في المجتمعات الإسلامية أو في الغرب.
6. فرض الشروط والمفاهيم والقيم من طرف الحضارات الأقوى.
7. عدم الانضباط في منهج الحوار، والاعتماد على الجانب العاطفي والنظرة الفوقية لإثارة الآخر.

خاتمة

على المؤسسة الدينية اليوم أن تستعيد دورها المعرفي والتعبدي، وتُجدد رسالتها بإعادة النظر في رؤيتها المنهجية، وأساليبها الدعوية وخطابها الرسالي، لتُحقق التوازن المنشود في المجتمع. وأن تقارب بين الرؤى والتوجهات، وتوحد الجهود في خدمة المجتمع، كما توحد الصفوف في الصلاة. منهجها في ذلك الحوار، تستميل به العقول والقلوب، وتُلين به النفوس الغليظة، وتبعث رسالة هادفة إلى المجتمع. تنشرها عبر كافة قنواتها في جميع المستويات، فيتربى عليه النشء والأجيال الصاعدة، وتغرس فيهم أُسس الحرية الدينية والدنيوية، فيشب الجيل على دين صحيح وفكر وسطي وقيم قوية، يبعث في الأمة الأمل في النهوض من غفوتها التي طالت. ويفتح لها آفاق التواصل الحضاري من جديد.

إن المؤسسة الدينية من خلال هياكلها قريبة من الناس، وتأثيرها أقوى في النفس من تأثير القوانين الوضعية، ويمكنها من إرساء مقومات الحوار وتهيئة الأجواء له، انطلاقا من الاتفاق على المبادئ المشتركة، والتميز بالأخلاق النبيلة وفي إطار الاحترام المتبادل. وفق منهجية الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن. فأسلوب الرفق واللين من أهم ما تحتاجه النفوس، في هذا العصر لتجاوز الأزمات. وتجديد آليات الخطاب الديني ومواكبته لمستجدات العصر، وتفعيل هياكل المؤسسة الدينية وتنشيطها والاهتمام بالطاقات البشرية فكرا ومنهجا. والانفتاح الحضاري على العالم بعقل يستوعب الآخر ويتفهم حاجاته وخصوصياته، فيحدث الأثر والتأثير.

ـ الإحالات:

1. سعيد بن سعيد العلوي، بحث المؤسسة الدينية والتجديد في العالم العربي، ضمن كتاب "حراسة الإيمان المؤسسات الدينية،" مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، ط3، 2011م، ص 27.
2. فاروق مداسي، قاموس مصطلحات علم الاجتماع، دار مدني، دط، الجزائر،2003، ص 223-224.
3. سمير الويفي، دور المؤسسة الدينية الرسمية في التغيير الاجتماعي، دراسة حالة مسجد أول نوفمبر باتنة، مذكرة ماجستير تخصص علم الاجتماع الديني، جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر2009/2010م.، ص 139

4. سعيد بن سعيد العلوي، مرجع سابق، ص28.
5. سعيد بن سعيد العلوي، مرجع سابق، ص28
6. ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار الجبل /دار لسان العرب، بيروت، 1988م، مج1، ص751.
محمد مسعد ياقوت، حوار الحضارات وخناجر في جسد الإسلام، موقع نبي الرحمة (www.nabialrahma.com)
7. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار عالم الكتب سنة 1996، ج1، ص 659.
8. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة: دار الفكر العربي، 1990، ص11.
9. محمد مسعد ياقوت، مرجع سابق، ص6.
10. انظر: عبد الله الطريقي، الحضارة والعالم الآخر، دار الوطن، الرياض، 1415هـ، ط1، ص16-17.
11. توفيق محمد سبع: قيم حضارية في القرآن الكريم: عالم ما قبل القرآن، دار المنار، القاهرة، د.ت، ج1، ص31.
12. حسن عزوزي، الإسلام وترسيخ ثقافة الحوار الحضاري في عصر الصحوة الإسلامية، مجلة رسالة التقريب، ع44، ص15.
13. مجلة العالم الإسلامي (تصدر عن رابطة العالم الإسلامي) عدد 15 فبراير 1999 ص 3.
14. انظر: روجيه جارودي، من أجل حوار بين الحضارات، دار النفائس، ط1، 1411هـ.
15. عبد العزيز بن عثمان التويجري، الأمة الإسلامية في مواجهة التحدي الحضاري، سلسلة المعرفة للجميع، 1999 الرباط، ص 74.
16. رشدي فكار: نظرات إسلامية للإنسان والمجتمع، ص 31.
17. يوسف القرضاوي، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، ص40، 41.
18. مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ص66.
19. خير الدين عبد الرحمن، التثاقف عبر التباين الحضاري مجلة المعرفة – عدد 533 – شباط 2008.
20. يوسف القرضاوي العبادة والسلم دار الشروق القاهرة مصر، ص 88.

The role of the religious establishment in the founding of civilizational values of dialogue

Bachir BOUSSAHA* – Imen FERTAS**

Abstract

The religious establishment is one of the main pillars in the building of society, through which the state can impose its sovereignty and organize its affairs because of its sanctity and respect. It is able to consolidate the idea of dialogue between Muslims and support it by legal texts and biography of the Prophet. This leads to the founding of dialogue as a basis for peace and security between the spectra of the same society or between the Muslim community and other communities.

Keywords: The religious establishment, the dialogue of civilizations, coexistence, and the other accepts, difference.

* Institut des sciences islamiques – université d'El-oued.
** Magistère en sciences coraniques.